



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله وبعد:

جاء في الأثر: إذا اختلف الناس فانظروا ما عليه أهل الثغر – أو فاسألوها أهل الثغر – فإن الله يقول: (والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا).

وهذا الأثر يحتاج إلى دراسة من جهتين:

- من جهة: صاحب القول.
- ومن جهة: المعنى المراد.

وسنتناولهما بإذن الله في هذا المقال القصير باختصار.

أولاً: (من هو صاحب هذا القول؟).

يُنسب هذا الأثر في الكتب إلى ثلاثة:

1. عبدالله بن المبارك المتوفى سنة 181 هجرية.
2. وأحمد بن حنبل المتوفى سنة 241 هجرية.
3. وسفيان بن عيينة المتوفى سنة 198 هجرية.

أما عبدالله بن المبارك فلم أقف على أحد ذكر قوله مسندأ – حسب البحث القاصر، وكل من وقفت عليه ذكره بغير إسناد، لكن جاء في تفسير ابن أبي حاتم أثر فيه سقط في أكثر من موضع سأورده وأرمز للسقوط فيه ب (...)

الأثر هو:

قال ابن أبي حاتم في تفسيره حدثنا أبي، ثنا يعقوب بن إسحاق البغدادي، ثنا حماد ...، قال: سمعته يقول: قال لي .. عيينة،.... اختلفوا فيه... وأهل الثغر، فإن الله يقول: (والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا).

إذن سفيان بن عيينة قال لأحدهم هذا القول لكن هذا المقول له سقط اسمه في الإسناد السابق، لكن جاء في تفسير القرطبي ذكر المقول له وهو عبد الله بن المبارك (وقال سفيان بن عيينة لابن المبارك..)[16/391].

وهذا نخلص إلى نتيجة ظنية إلى أنَّ ابن المبارك هو الذي قيل له ذلك وعليه فلم يكُن ابن المبارك قائلًا بل راوياً عن سفيان بن عيينة.

نأتي إلى إمامنا أحمد بن حنبل:

كذلك لم أجده من أسنده الأثر إليه، والذي وجدته ذكره أن سفيان هو القائل، قال المروذى: قرئ عليه - يعني أحمد - (والذين

جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) فقال أَحْمَدُ الْجَمَارِيُّ: إِذَا اخْتَلَفْتُمْ فِي شَيْءٍ فَانظُرُوا مَاعِلِيهِ "أَهْلُ الْغَرْبِ" نَقْلًا عَنْ أَبْنَى الْقِيمَ فِي (بَدَائِعِ الْفَوَائِدِ) وَالَّذِي نَقَلَهُ بَعْضُ مَسَائِلِ الْمَرْوَذِيِّ لِأَحْمَدٍ [3/1022] وَجَاءَ فِي (الْجَامِعِ لِعِلُومِ أَحْمَدٍ) [13/488] "فَاسْأَلُوا أَهْلَ الْتَّقْوَىٰ" وَسَوْءَ قَيْلٌ: أَهْلُ التَّقْوَىٰ أَوْ أَهْلُ الْغَرْبِ فَلَا تَعْرَضُ بَيْنَهُمَا كَمَا سَيَأْتِي بِبَيَانِهِ.

وهنا نخلص أيضاً إلى أنَّ أَحْمَدَ لَمْ يَكُنْ هُوَ الْقَائِلُ، وَرَبِّما قَالَ أَحْمَدُ أَوْ أَبْنَى الْمَبَارَكُ هَذَا الْقَوْلُ مَرَّةً مِنْ غَيْرِ إِسْنَادٍ لِلْقَائِلِ فَنُسْبَ إِلَيْهِمَا مَسْنَدًا فِي مَرْجِعٍ لَمْ تَصْلِهِ أَيْدِيْنَا أَوْ أَهْمَانَا لَمْ يَفْعَلَا ذَلِكَ لَكِنْ مِنْ بَابِ التَّسَاهُلِ فِي النَّقْلِ كَمَا هُوَ الْغَالِبُ فِي الْأَثَارِ الْوَارَدَةِ عَنْ غَيْرِ الرَّسُولِ ﷺ أَوِ الصَّحَابَةِ أَوِ التَّابِعِينَ، قَالَ أَبْنَى تَبَيْيَنَهُ تَعَالَى فِي رِسَالَتِهِ (مَسَأْلَةُ الْعَرَابِطَةِ بِالْغَوْرِ) [ص 50]: (وَكَانَ أَبْنَى الْمَبَارَكُ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَغَيْرِهِمْ يَقُولُونَ: إِذَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي شَيْءٍ فَانظُرُوا مَاعِلِيهِ "أَهْلُ الْغَرْبِ" فَإِنَّ الْحَقَّ مَعَهُمْ...).

نَأَيَ الْآنُ إِلَى (سَفِيَانَ بْنَ عَيْنَةَ) صَاحِبِ الْقَوْلِ فَقَدْ جَاءَ عَنْهُ هَذَا الْقَوْلُ مَسْنَدًا فِي مَوْضِعَيْنَ:

- **الموضع الأول:** تفسير ابن أبي حاتم وقد مر ذكر الإسناد.
- **الموضع الثاني:** تفسير الثعلبي (الكشف والبيان) فقد قال: أَخْبَرَنِي أَبْنَى فَنْجُوِيَّهُ قَالَ حَدَّثَنَا أَبْنَى شَنْبَةُ، قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدَاللهِ بْنَ مُحَمَّدَ بْنَ وَهْبٍ، قَالَ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمَ بْنَ سَعِيدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ سَفِيَانَ بْنَ عَيْنَةَ يَقُولُ...

وَإِسْنَادُ أَبْنَى حَاتِمَ وَالثُّعُلَبِيِّ فِيهِمَا ضَعْفٌ، لَكِنْ يَتَسَاهَلُ فِي رِوَايَةِ مَثَلِ هَذِهِ الْأَثَارِ كَمَا سَبَقَ، وَقَدْ رَجَحَ أَحْمَدُ مَحَايِرِيُّ الَّذِي جَمَعَ تَفْسِيرَ أَبْنَى عَيْنَةَ مِنْ بَطْوَنِ كَتَبِ التَّفْسِيرِ صَحَّةَ نَسْبَةِ الْخَبَرِ إِلَى أَبْنَى عَيْنَةَ لَا مِنْ جَهَةِ صَحَّةِ الْإِسْنَادِ بَلْ مِنْ جَهَةِ مَشَابِهَتِهِ لِطَرِيقَةِ أَبْنَى عَيْنَةَ فِي التَّفْسِيرِ فَقَالَ: (وَأَرْجَحُ نَسْبَةِ الْخَبَرِ إِلَى أَبْنَى عَيْنَةَ لِأَنَّ فِي الْالْتِفَاتَاتِ الْدَّقِيقَةِ الَّتِي تَمَيَّزُ بِهَا تَفْسِيرُ أَبْنَى عَيْنَةَ عَنْ بَقِيَّةِ التَّفَاسِيرِ فِي عَصْرِهِ) تفسير ابن عيّنة [ص 305].

خَلَصْنَا هُنَا إِلَى أَنَّ قَائِلَ الْأَثَرِ هُوَ سَفِيَانُ أَبْنَى عَيْنَةَ وَمَنْ بَعْدَهُ نَقَلُوا عَنْهُ وَسَارَتْ بِالْكَلْمَةِ الرَّكْبَانَ حَتَّى نُسِّبَتْ إِلَى غَيْرِ وَاحِدٍ.

ثَانِيًّا: مَامَعْنَاهُ؟

كَتَبَ أَحَدُ الْمَجَاهِدِينَ بِأَرْضِ الشَّامِ اقتِرَاحًا فِي (تَوْيِنِ) وَهَذَا الاقتِرَاحُ: هُوَ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ (خَطِّ سَاخِنٍ) مَعَ عَلَمَاءِ بَلَادِ الْحَرَمَيْنِ الْثَّقَاتِ، حَتَّى يُفْتَوِهُمْ فِي بَعْضِ الْمَسَائِلِ الَّتِي أَشَكَّلَتْ عَلَيْهِمْ خَاصَّةً أَنَّهَا فِي الدَّمَاءِ وَالْأَعْرَاضِ.. فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَحَدُهُمْ بِكُلِّ بَسَاطَةٍ: (أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ السَّلْفِ اسْأَلُوا أَهْلَ الْغَوْرِ وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يَفْتَحُ عَلَيْهِمْ فِي بَابِ الْفَقَهِ!) هَكُذا تَصْبِحُ الْفَتْوَى فِي مَسَائِلِ الدَّمَاءِ وَالْأَعْرَاضِ لِأَهْلِ الْغَوْرِ، فَقَدْ لَأَنَّهُمْ عَلَى ثَغْرٍ!

وَالْمَسَأَلَةُ لَيْسَتْ فِي نَازِلَةٍ تَخَصَّصُوا فِيهَا أَكْثَرُ مِنْ غَيْرِهِمْ بَلْ فِي دَمَاءِ وَأَعْرَاضِ بَحْثِهِمُ الْعُلَمَاءُ وَتَنَاقِشُوهُمْ فِي كَتَبِ الْفَقَهِ بَلْ تُورَعُ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ عَنِ الْكَلَامِ فِيهَا، كُلُّ ذَلِكَ اعْتِمَادًا عَلَى أَثْرِ سَفِيَانَ أَبْنَى عَيْنَةَ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ! أَوْ اعْتِمَادًا عَلَى اسْتِبَاطِ مِنَ الْآيَةِ فِيهِ نَقْصٌ، أَنَا هُنَا لَا أَقْلَلُ مِنْ شَأْنِ الْكَلْمَةِ الَّتِي سَارَتْ بِهَا الرَّكْبَانَ وَتَدَوَّلَهَا الْعُلَمَاءُ حَتَّى التَّبَسَ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ طَلَابِ الْعِلْمِ مِنْ قَائِلِهَا، لَكُنِّي أَقُولُ: (أَحَسَنُوا اسْتِخْدَامَ الْكَلْمَةِ أَوْ أَعْطُوْهَا حَجْمَهَا)، ثُمَّ يُقَالُ أَيْضًا: إِنَّ الْجَهَادَ الْمَذَكُورَ فِي الْآيَةِ: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهِيْنَاهُمْ سِبْلَنَا) الْمَرَادُ بِهِ: جَمِيعُ أَنْوَاعِ الْجَهَادِ وَلَيْسَ جَهَادُ الْكُفَّارِ فَقْطًا، بَدِيلَلِ أَنَّ السُّورَةَ مَكِيَّةً نَزَّلَتْ قَبْلَ نَزْوَلِ فَرْضِ جَهَادِ الْكُفَّارِ أَصْلًا، قَالَ أَبْنَى عَيْنَةَ فِي تَفْسِيرِهِ: (فَهِيَ قَبْلُ الْجَهَادِ الْعُرْفِيِّ، وَإِنَّمَا هُوَ جَهَادٌ عَامٌ فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى وَطَلْبٌ رَضَاهِ) [ص 1496] بَلْ نَذَرَ الْحَسْنَ أَنَّ الْآيَةَ فِي (الْعُبُادِ) وَقَالَ أَبْنَى عَبَّاسٌ: (هِيَ فِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِمَا يَعْلَمُونَ) وَلَا تَعْرَضُ بَيْنَ الْأَقْوَالِ، فَالْعُبُادُ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِمَا يَعْلَمُونَ أَهْلُ الْغَوْرِ دَخَلُوا فِي الْآيَةِ لِأَنَّهُمْ مِنْ جَاهِدُوا، قَالَ أَبْنَى الْقِيمَ بَعْدَ ذِكْرِهِ أَنْوَاعَ الْجَهَادِ أَعْنِي: جَهَادُ النَّفْسِ وَالْهُوَى وَالشَّيْطَانِ وَالْكُفَّارِ: (وَمَنْ تَرَكَ الْجَهَادَ فَاتَّهُ مِنَ الْهُدَى بِحَسْبِ مَاعْتَلَ مِنَ الْجَهَادِ) [الْفَوَائِدُ ص 58] فَالَّذِي فِي الْغَوْرِ إِنْ لَمْ يَجَاهِدْ نَفْسَهُ فَيَتَورِعُ عَنِ الْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ يَنْقَصُ نَصِيبَهُ مِنَ الْهَدَايَا بِقَدْرِ تَقْصِيرِهِ فِي الْجَهَادِ، وَكَذَا الْعَالَمُ وَطَالِبُ الْعِلْمِ وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الإِيمَانِ يَنْقَصُ نَصِيبَهُمْ مِنَ الْهَدَايَا بِقَدْرِ تَقْصِيرِهِ فِي الْجَهَادِ، وَقَدْ كَانَ فِي زَمَانٍ مَضِيَّ أَهْلُ الْغَوْرِ هُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ وَطَالِبُهُ وَاللَّهُ الْمُسْتَعْنُ.

ملتقى أهل التفسير

المصادر: